المجلس (١٢)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ الأَتَمَّانِ الأَكْمَلَانِ عَلَىٰ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أَمّا بَعْدُ؛

فمرحبًا بوصية رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مرحبًا بأقوامٍ قد اقتطعوا من وقتهم لعِمارة مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه العبادة الشريفة العظيمة المُنيفة؛ بعبادة: طلب العِلم.

معاشر الفضلاء! إن نفع الناس عملٌ يحبه الله عَزَّ وَجَلَّ ويرضاه، وإن أعظم نفعٍ للناس أن تدلهم على العِلم النافع، وأن تُوصِل لهم العِلم النافع وأن تصبر على ذلك، فإن الناس في الغالب أعداءٌ لما يخالف عوائدهم وما اعتادوه أَوْ مَا يريدونه.

فدعوة الناس إلى مَا يخالف مَا اعتادوه، أَوْ إلى مَا يخالف مَا يريدونه تحتاج إلى صبرٍ عريض، ينبغي على طالب العِلم ومُريد الخير للناس أن يبذل العِلم للناس بأسلوبٍ طيب، وبأسلوبٍ متين، وأن يترفق بهم، وأن يصبر على مَا يلقاه منهم، وإن أعظم علمٍ ينفع الناس مَا يتحقق به التوحيد ويُحمى به التوحيد، فأعظم الأوامر وأشرفها، وأكبر القُربات وأولها وشرطها: توحيد رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فأعظم نفعٍ أن تعلم الناس التوحيد، وأن تحذرهم من الشِرك، وأن تحمي جناب التوحيد.

ونحن بحمد الله في درسنا هذا نقرأ في كتابٍ يحقق هذا إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ، في كتابٍ صَغُر حجمه وعَظُم عِلمه وكَثُرت فوائده وعوائده؛ حيث نشرح كتاب/ **"كشف الشبهات لشيخ الإسلام الإمام المجدد الناصح محمد بن عبد الوهاب"** رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وسائر علماء المسلمين.

ولا زلنا مع الجواب المُفصَل عَنْ بعض الشُبهات، وقد مرت بنا ثلاث شُبهات هِيَ أكبر الشُبهات في الباب؛ فعرفنا حقيقتها، وعرفنا الجواب عنها، وذكرنا جواب أهل العِلم والسُنَة عنها بأسلوبٍ مُركَزٍ نافعٍ جامعٍ بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

ونحن في تعليقنا على هَذِه الشبهات لا نتوسع في المسائل وإنما نقتصر على مَا يحقق المقصود؛ وَهُوَ: كشف هَذِه الشبهات، وردها، وبيان وزنها في الميزان الشرعي.

ونواصل في هذا المجلس قراءة مَا ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ونعلق عليه.

(المتن)

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ أَشْرَفِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِينَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أَمَّا بَعْدُ؛ فاللهم اغفر لنا ولشيخنا والسامعين.

قال الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في رسالته كشف الشُبهات: فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

(الشرح)

هَذِه الشبهة الرابعة التي ألقاها الشيطان على بعض الناس فلبست عليهم دينهم، ويُلقيها بعض الناس عَلَى بعضهم، وقد يُورِدها المُورِد مستقلةً، فيقول الذي يذبح لأهل القبور ويلتجئ إليهم في شدائد أمور ويسألهم ويدعوهم؛ يقول: **(لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ)** ولا أعبد هؤلاء؛ فهؤلاء السادة الصالحون لا أعبدهم وإنما أعرف مقامهم ومنزلتهم، ودعائي لهم ليس عبادةً لهم؛ فأنا أعبد الله ولا أعبدهم؛ وهذه شُبهة أضلت كثيرًا من المسلمين الذين ينتسبون إلى الإسلام وأوقعتهم في الشِرك، يقول لهم الشيطان: أنتم تعبدون الله، أنتم مَا تعبدون أحدًا من دون الله، وأما هذا الذي تفعلونه من النذر لأصحاب القبور، والذبح لأصحاب القبور، وسؤال أهل القبور؛ فهذا ليس عبادة، **(وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ)**.

وإما أن يُورِد المُورِد هَذِه الشُبهة لبيان الفرق بينه وبين المشركين الذين قاتلهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فيقول: أولئك المشركون كانوا يدعون الأصنام لأنهم يعتقدون فيها تأثيرًا وتدبيرًا، وأنا أدعو هؤلاء الصالحين من غير أن أعتقد فيه التأثير والتدبير فلا أعبدهم؛ ففرقٌ بين حالي وحال أولئك المشركين.

ومُورِد هَذِه الشُبهة إما أن يريد أن دعاء هؤلاء الصالحين والعكوف على قبورهم ومناداتهم: المدد المدد، الولد الولد يا سيدي فلان، الرزق الرزق؛ أن هذا ليس عبادةً لهم؛ لأَنَهُ لا يعتقد فيهم التأثير والتدبير، وإنما يرى أَنْهُم وسائط، لا لأن الدعاء ليس عبادة.

بمعنى يا إخوة: هو يقول: الدعاء عبادة، ولكن سؤالي لهؤلاء ليس عبادةً، لِمَ؟ لأن العبادة في زعمه لَا بُدَّ أن يكون معها اعتقاد التأثير والتدبير، وأنا لا أعتقد في هؤلاء التأثير والتدبير، فجوابه مَا تقدم في الجواب عَنْ الشُبهات الثلاث المتقدمة؛ حيث نبين لَهُ أن حاله كحال أولئك المشركين، وقد تقدم الكلام عَنْ هذا بوضوح، ثم إنَّا نقول لَهُ: مَا الدليل على أن الدعاء الذي هو عبادة يُشتَرط فيه اعتقاد التأثير والتدبير وإلَّا مَا كان عبادة، من أين أتيت بهذا الشرط؟ مَا دليلك على هذا؟ ولن يجد دليلًا واحدًا على ذَلِكَ، وإما أن يريد أن الدعاء أصلًا ليس عبادة.

فجوابه: أن تُبين لَهُ أن الدعاء عبادة بالأدلة.

ومن الأدلة علىٰ ذَلِكَ: أن الدعاء يُعَبَر به عَنْ العبادة مما يدل على أنه يدخل دخولًا أوليًا في العبادة، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] أي: فلا تعبدوا مع الله أحدًا.

ولذلك قال العُلماء: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ لا دعاء مسألة، ولا دعاء عبادة؛ فعُبِر عَنْ العبادة بالدعاء.

والمتقرر شرعًا ولُغَةً: أنه إذا عُبِر بشيءٍ عَنْ شيء؛ فذلك يدل على دخوله دخولًا أوليًا في ذلك الشيء.

قال الطبري رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذِه الآية: "أي أفرِدوا لَهُ التوحيد وأخلِصوا لَهُ العبادة".

وقال تعالى عَنْ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨، ٤٩].

انظر رعاك اللَّهِ! قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي﴾ ثم قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فدلت هاتان الآيتان المتصلتان على أن الدعاء عبادة، فالله عَزَّ وَجَلَّ بَيَّن ذلك بَيانًا واضحًا.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

وقال ربنا سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾ مخلصين لي في ذلك، ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ فهذا التذييل دليلٌ على أن الدعاء عبادة، وأن الذي يستكبر عَنْ دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ يستكبر عَنْ عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعن أبيه عَنْ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» والحديث رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والبخاري في الأدب المفرد، وابن حِبان في صحيحه، والحاكم وصححاه.

وقال الترمذي: حَسنٌ صحيح، وصححه الألباني، والأرناؤوط، والوادعي رحم الله الجميع؛ فالحديث صحيح.

ومعناه: أن الدعاء أفضل العبادة، ورأس العبادة؛ فكيف تقولون: إن الدعاء ليس عبادة.

وقد روى الحاكم بإسنادٍ صححه عَنْ ابن عَبَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: **"أَفْضَلَ اَلْعِبَادَةِ هُوَ اَلدُّعَاءُ"** رواه الحاكم وصححه، وحسنه الألباني.

فتقول لَهُ: هل تُقِر بهذا أَوْ تُنكِر؟ فإنه لا يستطيع إلَّا الإقرار بأن الدعاء عِبادة، كيف لا يقول ذلك ولا يُقِر والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: الدعاء هو العبادة؛ كأن العبادة قد انحصرت في الدعاء لعِظَم شأن الدعاء في العبادة، فإن أقر لك بذلك وَلَا بُدَّ أن يُقِر؛ فقل لَهُ: هل أمرك الله بإخلاص العبادة؟ أم أذِن لك بالشِرك فيها؟ وأقِم عليه الحُجة بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وبقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وبقول النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اَللهَ لا يَقْبَلُ مِنْ اَلْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وابْتُغِي بِهِ وَجْهُهُ» رواه النسائي، وقال الألباني: حسنٌ صحيح؛ فإنه عند ذاك لَا بُدَّ من أن يُقِر بأن الله أمرنا بالإخلاص في العبادة، وأن شرط العبادة: الإخلاص لله عَزَّ وَجَلَّ، فقل لَهُ عند ذاك: يَلزَمُك وفرضٌ عليك أن تُخلِص لله في الدعاء؛ لأَنَهُ عبادة، وقد أُمِرت بالإخلاص فيها.

ثم اذكر لَهُ أمرًا فقل لَهُ: لو أردت الولد أَوْ الزوجة فسألت الله عَزَّ وَجَلَّ في مواطن كثيرة أن يرزقك زوجةً، أن يرزقك ولدًا، فهل عبدت الله؟ سيقول: نعم، فقل لَهُ: فهل أنت مُخلِصٌ لله؟ سيقول: نعم، فقل لَهُ: مَا علامة إخلاصك؟ سيقول: أنيَّ مَا سألت إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم قل لَهُ: هَب أنك أردت الولد أَوْ الزوجة فدعوت الله وسألته أن يرزقك الولد أَوْ الزوجة مرارًا وتكرارًا، ثم سألت ميتًا مقبورًا الولد أَوْ الزوجة مرةً واحدة، فهل أشركت بالله في الدعاء هنا؟ أم أنك مُخلِصٌ؟ سيقول وَلَا بُدَّ: أن قد أشرك في الدعاء؛ لأَنَهُ سأل حاجةً واحدة من الله عَزَّ وَجَلَّ ومن هذا المقبور، ولا يشك عاقلٌ ولا يترد في أن هذا شِركًا، فإذا أقر لك بذلك؛ فقل لَهُ: وهكذا سائر العبادات أنت مأمورٌ بأن تُخلِص لله فيها.

ومن ذلك مثلًا: النحر والذبح، فإن الله قال لك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] وهذا يدل على أن النحر عبادة؛ لأن الله أمرنا به على سبيل التقرب؛ فهذا عبادة، ويدل على وجوب الإخلاص في النحر؛ لأن الله قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ أي: لربك، ولو لم يَرِد هذا لقلنا: يجب الإخلاص في الذبح على سبيل التقرب؛ لأَنَهُ عبادة، وقد تقرر أن العبادة لَا بُدَّ فيها من الإخلاص، فإذا نحرت لله فهل أنت عابدٌ؟ لَا بُدَّ من أن يقول: نعم، فقل لَهُ: فإذا نحرت لصاحب القبر فهل أنت لَهُ عابدٌ؟ لن يجد مناصًا إلا أن يقول: نعم.. إذ أنه لا يستطيع أن يُفرِق بين المتماثلين.

هذا الوجه الأول في الجواب عَنْ هَذِه الشُبهة؛ وترون أنه مُحكَمٌ يُترقى فِيهِ.

والوجه الثاني: أن تقول لَهُ: المشركون الذين نزل فيهم القرآن وفارقهم النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقاتلهم؛ هل كانوا مخلصين أَوْ كانوا مشركين؟ فَلَا بُدَّ أن يقول: إِنَّهُم مشركون، فقل لَهُ: وهل كانوا يعبدون آلهتهم؟ فَلَا بُدَّ من أن يقول: نعم، فقل لَهُ: بِمَ كان إشراكهم وعبادتهم؟ وقد بينت لك

فيما مضى أَنَّهُم كانوا مُقِرين بالربوبية، وأن الله هو الرب الخالق الرزاق المدبر؛ إن إشراكهم وعبادتهم لهم إنَّمَا كان بالذبح لهم، والنذر لهم، والالتجاء لهم، والدعاء لهم، وأظهر شيءٍ فيهم هو الدعاء.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] أي: من المشركين.

وقال سبحانه: ﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [الحج: ١٢].

ولا شك أن كل مَنْ دون الله لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عَنْ أن يملكه لغيره، وإن أردت الدليل على ذلك فاسمع قول الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأشرف خلقه: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]

وقوله سبحانه لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٤٩] فالأمر كله لله.

انظروا! هذا الإحكام بُدِأ في آيةٍ بنفي النفع ثم ثُني بنفع الضر، وبُدِأ في آيةٍ بنفي الضر ثم ثُني بنفي النفع؛ وذلك لإحكام الباب، فكيف بمَنْ دون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

☜ **وخُلاصة ذلك أن تقول لَهُ:** إن حالك مع هؤلاء المقبورين كحال أولئك المشركين إن لم تفارق حالهم، وسيكون مآلك مآلهم إن لم تفارق حالهم.. هذا الجواب وقدمته لأني رتبته، ثم نقرأه في كلام الشيخ الناصح العالِم الإمام المجدد رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَنَا لَا أَعْبُدُ إِلَّا اللهَ، وَهَذَا الِالْتِجَاءُ إِلَىٰ الصَّالِحِينَ وَدُعَاؤُهُمْ لَيْسَ بِعِبَادَةٍ.

فَقُلْ لَهُ: أَنْتَ تُقِرُّ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكَ إِخْلَاصَ العِبَادَةِ؟

فَإِذَا قَالَ: نَعَمْ.

فَقُلْ لَهُ: بَيِّنْ لِي هَذَا الفَرْضَ الَّذِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْكَ - وَهُوَ إِخْلَاصُ العِبَادَةِ وَهُوَ حَقُّهُ عَلَيْكَ - فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ العِبَادَةَ وَلَا أَنْوَاعَهَا.

(الشرح)

أي: نَزِله منزلة الجاهل الذي يُعَلم، وقل لَهُ: بَين لي هذا الذي فرضه الله عليك وفرض عليك الإخلاص فيه مَا هو؟ فإن الله قد بينه في كتابه وعلى لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يمكن أن يكون مجهولًا، فإن الغالب أنه لجهله لا يستطيع أن يُبَيّن العبادة، ولا أن يعرف أنواعها.

(المتن)

فَبَيِّنْهَا بِقَوْلِكَ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

(الشرح)

بَيِّن لَهُ أن العبادة كلها لله، وأن الدعاء أفضل العبادة وأشرف العبادة بهذه الآية العظيمة: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥].

➢ **فخالفوا المشركين في أمرين:**

- **الأمر الأول:** أن المشركين لا يدعون الله عَزَّ وَجَلَّ إلَّا وهم مشركون فيسألون الله ويسألون غيره معه، وأنتم ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ لا تدعون مَلكًا، ولا نبيًا، ولا وليًا، ولا صالحًا؛ لأنهم ليسوا أربابًا بل هم مربوبون، هم بحاجةٍ إلى ربهم، فقراء إلى ربهم مع عُلو مقامهم وشرف منزلتهم.
- **الأمر الثاني:** خالفوا المشركين فَإِنَّهُم في دعائهم يرفعون أصواتهم، ودائمًا شرط الدعاء عندهم رفع الصوت؛ لأنهم يدعون هؤلاء المخلوقات، وهؤلاء الأموات؛ أما أنتم فـ ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ تقربًا، ﴿وَخُفْيَةً﴾ والأصل في الدعاء: الإخفاء، ويجوز الجهر ورفع الصوت به، لِمَ؟ لأنكم تدعون مَنْ يسمع الصوت وإن خفي، لا يختلط عليه صوتٌ بصوت.

والله الذي لا إله إلَّا هو إنَّا وقفنا في صلاة العصر مع إمامنا سجدنا ودعونا كلُّ دعا بحاجة، مَنْ وفقه الله للدعاء دعا، والله قد سمع الله دعوة كل واحدٍ منا، مَا اختلطت عليه دعوة أحدٍ منا بأحد، ولا صوت واحدٍ منا بصوت أحد؛ إنه وتعالى القريب في عُلُوه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قد قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] سبحان اللَّهِ! كيف أن هَذِه الآية سدت باب الشرك في باب الدعاء سدًا عظيمًا.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ العادة أن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فقل كذا، لكن هنا لعِظم الأمر قال اللَّهِ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى﴾ الذي أجاب هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ والذي يحتاج إلى واسطة ووسيلة من الخلق إنَّمَا هو البعيد الذي لا يسمعك، مَا تستطيع أن تصل إليه فتحتاج أن تُقَدِم مَنْ يصل إليه، والله قريب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَوْ هو مَنْ لا يجيب مَنْ يطلب منه فيحتاج أن تقدم لَهُ مَنْ يحثه أن يعطيك، والله يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾ أي: في الدعاء، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِى﴾ أي: أني قريبٌ ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فالرُشد والهداية والتوحيد: أن تعلم علم اليقين أن الله قريبٌ يُجيب الداعي إذا دعاه.

➢ إذًا هَذِه الآية التي أوردها الشيخ وَهُوَ إيرادٌ دقيقٌ من عَالِمٍ مُحَقِق فيها: الأمر بأن نخالف حال المشركين في هذين الوجهين وهذين الحالين:

- **الأول:** أن ندعو الله وحده.
- **والثاني:** أن ندعو الله تضرعًا وخُفية.

(المتن)

فَإِذَا أَعْلَمْتَهُ بِهَذَا؛ فَقُلْ لَهُ: هَلْ هُوَ عِبَادَةٌ لِلَّهِ؟

(الشرح)

إذا علمت أن الله قال: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ [الأعراف: ٥٥] فأمركم، وأمركم بأن يكون دعاؤكم لربكم، ألَّا تدل هَذِه الآية على أن الدعاء عبادة؟

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

(لَا بُدَّ أن يقول: نعم) وإلَّا كان رادًا لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(المتن)

وَ «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ».

(الشرح)

هذا ليس من كلامه وإنما جملة استطرادية؛ لأَنَّهُ سيقول: نعم.

(والدعاء مخ العبادة) أي: أفضل العبادة، وقد ورد هذا في حديثٍ عند الترمذي لكن إسناده ضعيف، والحديث الصحيح: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، والمعنى صحيح: (الدعاء مخ العبادة) أنه أفضل العبادة وأشرف العبادة كما قدمنا.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: إِذَا أَقْرَرْتَ أَنَّهُ عِبَادَةٌ.

(الشرح)

أي: إذا أقررت أَن الدعاء عبادة.

(المتن)

وَدَعَوْتَ اللهَ لَيْلاً وَنَهَاراً، خَوْفًا وطَمعًا.

(الشرح)

في حاجةٍ مَا أكثرت من الدعاء؛ دعاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

(المتن)

ثُمَّ دَعَوْتَ فِي تِلْكَ الحَاجَةِ نَبِيًّا أَوْ غَيْرَهُ؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي عِبَادَةِ اللهِ غَيْرَهُ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

نعم؛ لأن هذا الأمر ظاهر كما بينته لكم في الجواب الذي رتبناه.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا صَلَّيْتَ لِلَّهِ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟

(الشرح)

أي: انقله من العبادة القولية إلى العبادة البدنية والمالية؛ لأن العبادة: إما قولية، وإما بدنية، وإما مالية؛ فانقله من العبادة القولية التي منها الدعاء إلى العبادة البدنية التي هِيَ الصلاة، والعبادة المالية التي هِيَ النحر والذبح لله عَزَّ وَجَلَّ؛ لتبين لَهُ أن هذا شأن العبادة مطلقًا.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، فَإِذَا صَلَّيْتَ لِلَّهِ وَنَحَرْتَ لَهُ؛ هَلْ هَذَا عِبَادَةٌ؟ فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُول: نَعَمْ.

(الشرح)

يعني قل لَهُ مثلًا: إذا ذبحت الأُضحية في عيد الأضحى، فهل عبدت الله؟ لَا بُدَّ من أن يقول: نعم، قد عبدت الله بهذه العبادة.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: إِذَا نَحَرْتَ لِمَخْلُوقٍ - نَبِيٍّ، أَوْ جِنِّيٍّ، أَوْ غَيْرِهِمَا -؛ هَلْ أَشْرَكْتَ فِي هَذِهِ العِبَادَةِ غَيْرَ اللهِ؟

(الشرح)

يعني: إذا نحرت وذبحت متقربًا لمخلوق مهما كان شأنه، ومهما كان شرفه، هل عبدت هذا المخلوق؟ لَا بُدَّ لِزامًا من أن يقول: نعم؛ لأَنَّهُ أقر أن النحر عبادة، وأنه لو ذبح لله كان عابدًا لله؛ إذًا إِذَا ذبحت لهذا المخلوق على سبيل التقرب فقد عبدته.

أَوْ بعبارةٍ أخرى: إذا نحرت لله ذبيحةً أَوْ ذبحتها وذبحت أخرى في نفس الوقت ونفس المكان لمخلوق، أتيت بكبشين وذبحت أحدهما لله، ثم ذبحت الآخر لصاحب القبر، هل أشركت في الذبح؟

أَوْ أخلصت؟ سيكون جوابه وَلَا بُدَّ: أنه قد أشرك لأَنَّهُ ذبح لله، وذبح في نفس الوقت على نفس الحال للمخلوق؛ فيكون قد أشرك.

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يُقِرَّ وَيَقُولَ: نَعَمْ.

وَقُلْ لَهُ - أَيْضًا -: المُشْرِكُونَ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمُ القُرْآنُ؛ هَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ المَلَائِكَةَ، وَالصَّالِحِينَ، وَاللَّاتَ، وَغَيْرَ ذَلِكَ؟

(الشرح)

يعني: هل كانوا يعبدون آلهتهم؟

(المتن)

فَلَا بُدَّ أَنْ يَقُولَ: نَعَمْ.

(الشرح)

وإِلَّا كان مُكذِبًا لِلْقُرْآنِ.

(المتن)

فَقُلْ لَهُ: وَهَلْ كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ إِلَّا فِي الدُّعَاءِ، وَالذَّبْحِ، وَالِالْتِجَاءِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؟

(الشرح)

كما قلنا؛ قل لَهُ: بِمَ أشركوا، وكيف عبدوهم؟ فإن الجواب يكون بذبحهم لهم، ونذرهم لهم، والعكوف عندهم، والالتجاء إليهم، ووضع الحوائج عندهم، ودعائهم، وأن أظهر ذلك في المشركين عمومًا في كل الشِرك هو الدعاء.

(المتن)

وَإِلَّا فَهُمْ مُقِرُّونَ أَنَّهُمْ عَبِيدُهُ وَتَحْتَ قَهْرِهِ، وَأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الأَمْرَ، وَلَكِنْ دَعَوْهُمْ وَالْتَجَؤُوا إِلَيْهِمْ لِلْجَاهِ وَالشَّفَاعَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ جِدًّا.

(الشرح)

وقد قدمناه في الكلام عَنْ الشبهات الثلاث الأُوَل.. وهذا معلومٌ.

(المتن)

فَإِنْ قَالَ: أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟

(الشرح)

هَذِه الشبهة الخامسة التي يوردها عباد القبور والأموات الذين ويستغيثون بهم، وقد صاغها الشيخ بطريقتهم من التهويل على أهل التوحيد والسُنَة، والزعم أَنَهُم لا يحبون النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يحبون الأولياء، ولا يُثبِتون مَا جعله الله لهم، وهذا ديدن أهل الباطل، فَإِنَهُم يدركون أَنَهُم لا يستطيعون مقابلة أهل الحق بالحُجة والبرهان فيلجؤون إلى التهويل والتنفير واستدرار عواطف الناس.

فإن قال لك هذا المخالف: (أَتُنْكِرُ شَفَاعَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتَبْرَأُ مِنْهَا؟) وَهُوَ بهذا السؤال يرى أنك إما أن تقول: نعم أُنكرها؛ فيصفك بهذا الوصف القبيح ويعيبك بهذا العيب القبيح ويُثبته عليك، يعني إما أن تقول: لا أثبتها وأنفيها وأتبرأ منها؛ فيصفك بهذا الوصف القبيح، وإما أن تقول: أُثبِتُها فيرى أنه أقام عليك الحُجة في سؤالها من النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فيكون الجواب؟

(المتن)

فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا.

(الشرح)

(فَقُلْ: لَا أُنْكِرُهَا، وَلَا أَتَبَرَّأُ مِنْهَا) بل أُثبِتُها وَهِيَ عندي من أصول التوحيد، ومَنْ لا يُثبِتها يخرج عَنْ حد الإسلام؛ لأَنَهُ رادٌ للقرآن والسُنَة، وَهُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شافعٌ مشفع بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ يشفع ويُشَفِعه اللَّهِ؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ» رواه مسلمٌ في الصحيح، لكني أثبِتُها على الوجه الشرعي الذي دلت عليه الأدلة وفهمه سلف الأمة، فلست من الضُلال الذين ينفون شفاعة رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويقولون بلزوم العذاب لكل مَنْ استحقه، ولا من الضلال الذين يُثبِتون الشفاعة على غير وجهها الصحيح.. فربنا سبحانه من كرمه وعظيم إحسانه يتفضل على مَنْ يشاء من عباده يوم القيامة بالشفاعة؛ لإظهار كرم الشافع ولنفع المشفوع لَهُ.

(المتن)

بَلْ هُوَ ﷺ الشَّافِعُ المُشَفَّعُ، وَأَرْجُو شَفَاعَتَهُ.

(الشرح)

هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول شافعٍ مُشَفَّع، يشفع عند الله، ويأذن الله لَهُ بالشفاعة ويشفعه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإني لأرجو شفاعته وأطلب شفاعته، لكن بالوجه المشروع الذي بينته الأدلة.

(المتن)

وَلَكِنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

(الشرح)

هَذِه الشفاعة كلها بجميع أنواعها يوم القيامة لله عَزَّ وَجَلَّ، فالذي يملكها هو الله وحده؛ قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿قُلْ﴾ يا نبينا، ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾ وهذا أسلوبٌ يدل على الحصر، ﴿جَمِيعًا﴾ أي: بجميع أنواعها.

انظر أولًا يا رعاك اللهِ! مَنْ الذي أُمِر بأن يقول هذا؟ هو رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يستثني من ذلك شَيْئًا، ثم انظر إلى صيغة العبارة كيف تدل على كمال الحصر؟ وأن الشفاعة كلها إنَّمَا يملكها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ﴾ [الزخرف: ٨٦].. فهذا الأمر الأول والقاعدة الأُوْلَى في باب الشفاعة الشرعية.

(المتن)

وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وَلَا يَشْفَعُ فِي أَحَدٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وَهُوَ لَا يَرْضَىٰ إِلَّا التَّوْحِيدَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(الشرح)

لن يشفع شافعٌ إلَّا بإذن الله تعالى، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا شافع عند الله إلَّا بإذن الله تعالى، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ أعلى المخلوقات مقامًا،

وأعظم المخلوقات منزلة لا يشفع حتى يأذن الله لَهُ، يتذلل لله، ويسجد لله، ويُثني على الله حتى يأذن الله عَزَّ وَجَلَّ لَهُ في الشفاعة، ولا بُدَ فيها أيضًا من رضا الله عَنْ الشافع، ورضا الله عَنْ المشفوع لَهُ بأن يكون من أهل التوحيد لا من أهل الشرك، إلَّا مَنْ استُثني بالنص الخاص في شفاعةٍ خاصة، كشفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمه أبي طالب وقد مات مشركًا في أن يُخَفف لَهُ العذاب، أَوْ يُخَفف عنه العذاب.. هَذِه شفاعة خاصة لحِكمة خاصة، وإلَّا فإن الله لا يرضى عَنْ أهل الشرك؛ قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]؛ فَلَا بُدَّ من رضا الله عَنْ الشافع وإذنه لَهُ.

وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣] فلا تنفع الشفاعة عند الله إلَّا لِمَنْ أذن لَهُ ورضي عنه.

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

وهذه الشفاعة كما أخبر النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا تنال إلَّا أهل التوحيد، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شفاعته: «فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا» رواه مسلم.

والمعلوم: أن الله لا يرضى إلَّا التوحيد، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال سبحانه: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

فلا شفاعة لكافر، ولا شفاعة لمشرك.. هذا الذي دلت عليه الأدلة.

(المتن)

فَإِذَا كَانَتِ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بَعْدَ إِذْنِهِ، وَلَا يَشْفَعُ النَّبِيُّ ﷺ وَلَا غَيْرُهُ فِي أَحَدٍ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ فِيهِ، وَلَا يَأْذَنُ إِلَّا لِأَهْلِ التَّوْحِيدِ؛ تَبَيَّنَ أَنَّ الشَّفَاعَةَ كُلَّهَا لِلَّهِ، وَأَطْلُبُهَا مِنْهُ، فَأَقُولُ: اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي شَفَاعَتَهُ! اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ! وَأَمْثَالَ هَذَا.

☜ **مَا تقدم تقريره مُقدمةٌ تُنتج نتيجةً وَلَا بُدَّ؛ وَهِيَ:** أن الشفاعة إنَّمَا تطلب مِمَنْ يملكها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهُوَ الذي يأذن فيها إن شاء، ولا تُطلَب مِمَنْ دونه، فلا تُطلَب من الملائكة، ولا تُطلَب من الأولياء، ولا تُطلَب من الأنبياء عليهم السلام، ولا تُطلَب من نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل يقول

الموحِد: اللّٰهم ارزقني شفاعة نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. ونحو ذلك، اللّٰهم شفِع فيَّ نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَوْ بعبارة أخرى يقول الموحد: إني أطلبها بالأسباب التي جعلها مالكها أسبابًا لها، وأعظم سببٍ لها هو: تحقيق التوحيد والبراءة من الشرك، فلن تنفع الشفاعة مشركًا خارجا عَنْ دين الإسلام إلَّا مَا استُثني كما ذكرنا.

ثم من أسبابها: الدعاء؛ وأن يطلبها المسلم من الله عَزَّ وَجَلَّ؛ وهذا مُجمَعٌ عليه، ولا عبرة بمَنْ شذ وقال: إن الشفاعة لا تُطلَب.

ومن أسبابها: التقرب إلى الله بالأعمال التي جاء النص أن من ثوابها الشفاعة؛ كالقول بعد الأذان: «اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ» فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن من قال ذل: «حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه البخاري في الصحيح.

ومنها: الصبر على لأواء وشدة المدينة؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة: «لاَ يَصْبِرُ عَلَىٰ لأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَهِيدًا أَوْ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه مسلم.

وقال النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا» رواه أحمد، والترمذي، والنسائي في الكبرى، وصححه الألباني.

ولك يا رعاك اللَّهِ! أن تقول هنا: إن هذا سببٌ خاصٌ بأهل المدينة لنيل الشفاعة فمَنْ صبر على لأواء المدينة وشدتها ومات فيها ينال شفاعة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذن الله بالسبب العام الذي يشترك فيه المسلمون وَهُوَ التوحيد، وبالسبب الخاص، وهذا الذي سمعناه من مشايخنا الذين أخذنا عنهم العِلم وهذا القول أجمل.

☜ **وهل هو سببٌ أَوْ هما سببان؟** الأمر محتمل؛ فيُحتَمل أنهما سببٌ واحد فيكون المقصود: مَنْ عاش في المدينة وصبر على لأوائها وشدتها ولم يخرج منها رغبة عنها حتى مات فيها فإن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع لَهُ إن مات على التوحيد.

ويُحتَمَل أنهما سببان، فمَنْ عاش في المدينة ولو زمنًا وصبر على لأوائها وشدتها ولم يجزع ولم يتبرم فإنه إن مات على التوحيد موعودٌ بأن يشفع لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإذن الله، ومَنْ مات في المدينة ولو لم يعش فيها زمنًا على التوحيد موعودٌ بأن يشفع لَهُ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولك أن تقول: إن هَذِه شفاعةٌ خاصةٌ بأهل المدينة؛ لأن النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصهم بها، ولو كانوا كغيرهم لما كانت لهم مَزية.. والأمر واسع؛ المهم: أن تُثبت مَا أثبته النص: أن مَنْ صبر على لأواء المدينة وشدتها، أَوْ مات فيها موحدًا أنه موعود بأن يشفع لَهُ النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم القيامة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ.

ومن الضلال أن يتخذ الإنسان للشفاعة سببًا لم يجعله الله لها سببًا، فكيف إذا كان الله قد منع من اتخاذ ذلك السبب؟

ثم ستأتي الشبهة التالية تتعلق بهذه الشبهة ولكنَّا إن شاء الله سنؤجلها إلى يوم الأربعاء القادم في درسنا يوم الأربعاء بإذن الله حيث نفتتح بها ذلك المجلس.. وننبه على تنبيهات نافعة بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ مُحكِمَةٍ لهذا الباب ليس لنا فيها من فضل إلا أنَّا تصيدناها من كلام أهل العِلم، وصُغناها بأساليب قريبة إلى الفهم.

لعلنا نقتصر على مَا أوردنا سائلين الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل هذا المجلس شاهدًا لنا لا علينا، وأن يجعل هذا المجلس مما يَسرُنا عند لقائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، اللّٰهم تقبل منا مجلسنا هذا وبارك لنا فيه يا رب العالمين، اللّٰهم إنك أعلم بأحوالنا وأعلم بآمالنا، اللّٰهم يا ربنا مَنْ كان منا لَهُ إليك حاجة اللّٰهم فأعطه حاجته وافرةً مُوَفَرة يا رب العالمين، اللّٰهم مَنْ كان منا مهمومًا فاكشف عنه همه، وفرِج عنه همه يا رب العالمين، اللّٰهم مَنْ كان منا مكروبًا اللّٰهم ففرج كربه، اللّٰهم مَنْ كان منا مريضًا اللّٰهم فاشفه وعافه وأثبِت أجره يا رب العالمين.

اللّٰهم يا ربنا نسألك بأسمائك الحُسنى وصِفاتك العُلى أن تُحيينا حياةً طيبة، وأن تختم لنا بالحُسنى، وأن تجعلنا مِمَنْ يُنَعمون في قبورهم وممن يُسَرون عند لقائك يا رب العالمين، اللّٰهم اجعلنا مِمَنْ يفوز بشفاعة نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللّٰهم اجعلنا مِمَنْ يفوز بالشرب من حوض نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

اللّٰهم إنَّا نسألك بأسمائك الحُسنى وصفاتك العُلى كما جمعتنا في مسجد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إخوانًا متجاورين نسألك أن تجمعنا ووالدينا وأهلينا وذرياتنا وأحبابنا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم يا ربنا أكرِمنا بجوار نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم ارزقنا الأدب مع رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وارزقنا الأدب في مدينة رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأحينا فيها مَا كتبت الحياة لنا، وأمتنا فيها يا رب العالمين، واللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَى وَأَعْلَمُ.

وَصَلَّ اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَسَلَّمَ.